الدخيـــل في كتـــاب برجشتراسر التـــطور النحوي
دراســـــة نقدية

م.م علي حاتم خليل
الجامعة العراقية / كلية الآداب

المـــلخص:

لقـــد تـــطرق البحـــث الـــى دراســـة الـــدخيل مـــن الحبشـــية فـــي كتـــاب برجشتراسر التطور النحوي، وقد تناول
البحـــث دراســـة أبـــرز ســـت كلمـــات ذكـــرها برجشـــتراسر (نـــافق، فـــطر، منـبر، محراب، مصحف، حواري)
فالمستشـــرق الألمـــاني برجشتراســـر يحـــاول نـــزع كـــل فضـــيلة عـــن العـــرب ورد كل كلمة مشتركة بـــين
العربيـــة وبـــين الحبشـــية الـــى غيـــر العربيـــة ، وقـــد تـــم الـــرد علـــى مزاعـم برجـشتراسر بالأدلة القاطعة
التـــي تبين أصـــالة العربية وتراثها الأصـــيل.

The intruder in the book Bergstrasher Development Grammar

Critical study

Ali Hatem Khalil

Abstract

The study of the study of the intruder of the Abyssinian in Bergstrasher's book The Evolution of Grammar, has been addressed

The study of six words mentioned by Bergstrasher (Nafq, cleft, Tribune, Mihrab, Mushaf, Al-Hawari)

The German Schwarzenegger Bergstrasher tries to remove everything

Arabic and non-Arabic, and Bergstrasher's claims have been answered with conclusive evidence

Which shows the authenticity of the original Arab heritage.

المقدمة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد:

فهذه رؤية نقدية لبعض المسائل التي ذكرها برجشتراسر في كتابه التطور النحوي، وقد اخترت منها (الدخيل من الحبشية).

وقد درست ما ذكره من الدخيل في ضوء معجمات اللغة العربية وكتب التفسير وغيرها للوقوف على صحة مزاعمه.

وقد وقع الاختيار على أبرز ست كلمات ذكرها برجشتراسر.

الدخيل لغة : "كل كلمة أدخلت في كلام العرب وليست منه فهو الدخيل"(١) ، "وَهُمْ فِي بَنِي فُلَانٍ دَخَلٌ إِذا انْتَسَبُوا مَعَهُمْ في نسبهم وليس أَصله مِنْهُمْ.. والدخيل الضَّيْفُ لِدُخُولِهِ عَلَى المَضيف"(٢).

الدخيل اصطلاحًا: " ما دخل اللغة العربية من مفردات أجنبية ، سواء في ذلك ما استعمله العرب الفصحاء في جاهليتهم واسلامهم ، وما استعمله من جاء بعدهم من المولدين، وقد اصطلح المحدثون من الباحثين على أن العرب الفصحاء هم عرب البدو من جزيرة العرب الى أواسط القرن الرابع الهجري وعرب الامصار الى نهاية القرن الثاني الهجري ، ويسمون هذه العصور بعصور الاحتجاج ، وأن الاجنبي هو ما استعمله فصحاء العرب

---

١) الكليات : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م. ، تحقيق : عدنان درويش – محمد المصري:٤٣٩.

٢) لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت ،١٤١٤ هـ:٢٤٢/١١

،اسم المعرب، وعلى القسم الثاني منه، وهو ما أستعمله المولدون من الفاظ أعجمية لم يعربها فصحاء العرب ،اسم الاعجمي المولد"(١).

وقد يستعمل علماء اللغة الدخيل والمعرب بمعنى واحد ، وهذا ما أشار إليه الجواليقي بقوله " ويستعمله علماء اللغة كأنه مرادف للمعرب ، وكأن مدلولهما واحد... ويبدو أن الفرق بين المعرب والدخيل هو أن الدخيل أعم من المعرب"([٢])

تأصيل برجشتراسر للدخيل:

قال برجشتراسر: " وأهم الكلمات الحبشية الموجودة في العربية، هي العائدة إلى أشياء دينية، كحواريُّون، ونافق، ومنافقون، وفطَر، ومنبر، ومحراب، ومصحف، وبرهان، وهي مع بعض الألفاظ النادرة التي جاءت في القرآن الكريم وفي الحديث، تشهد بالمناسبات الصحيحة بين المسلمين وبلاد الحبشة قبل الهجرة، وبعض الكلمات الأخرى، التي يمكن اشتقاقها من كلمات حبشية، ربما كانت في الحقيقة يمانية؛ فإنه للقرابة بين الحبشية واللهجات اليمانية يجوز أن نفترض كثيراً من المفردات الحبشية للغة العربية الجنوبية أيضًا، فمن ذلك: خُوخة، ومِشْكاة، وسِكّة في معنى: الطريق الكبير، ومائدة، وبغل، وقد عُرِّبت في بعض الأوقات كلمات عربية جنوبية لا توجد في الحبشية منها: تاريخ"[٣].

---

[١]) فقه اللغة : د. علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة – مصر، ط٢٠٠٨،٦م: ١٥٣.

[٢]) المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم، ابو منصور الجواليقي ، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م: ١٦، ١٧.

(٣) التطور النحوي ، براجشتراسر، أخرجه: الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م: ٢١٧.

قبل مناقشة هذا النص وبيان بعض ما فيه من عوار، أشير إلى أن المنهج الغالب على المستشرقين هو إسرافهم في إرجاع أي كلمة ذات جذر لغوي مشترك إلى غير العرب، وكأن اللغة العربية لغة حادثة تفتقر إلى الجذور التاريخية، ولهذا أسباب ودوافع شتى كما سنقف عليها عند مناقشة الدخيل الذي زعمه برجشتراسر.

إن هذا التمهيد يلقي الضوء على كثير من المزاعم التي أتى بها برجشتراسر، إذ وقع في جملة تناقضات:

١ – إن موقف برجشتراسر هذا هو امتداد لموقف المستشرقين ، فقيل : "إنهم مسرفون في نسبة بعض هذه المفردات التي ذكروها وعزوها إلى غير العربية فإن كثيرا من هذه الكلمات – التي استعجموها– عربية في جذورها واشتقاقاتها، وجهل بعضهم بها لقلة استخدامها أو غيره لا يعني أعجميتها، ومن ذلك كلمة (قرآن – سكينة – حور)، فكلمة (قرآن) ليست من الكلمة العبرية (قارا)، ولا من السريانية (قرا)، بل هي من الجذر العربي (قرأ)، وهذا التشابه في جذور كلمات اللغات السامية كبير ومعروف عند علماء اللغات، وصوره أكثر من أن تحصى في اللغات السامية، وبسببه أخطأ بعضهم في نسبة بعض الكلمات العربية الأصيلة إلى لغات أخرى"(١).

٢ – قول برجشتراسر: " وقد عربت في بعض الأوقات كلمات عربية لا توجد في الحبشية منها: تاريخ".

(١) القرآن في مواجهة التهم والشبهات يعلو ولا يُعلى عليه، محمد أحمد صبرة، بلا دار، بلا مكان، ٢٠١٧م: ١٠٣.

فنَّده الدكتور محمد رمضان بقوله: " هذا يخالف ما سيذكره المؤلف بعد ذلك من أن هذه الكلمة معربة من الحبشية"(١).

إن برجشتراسر لم يقدم أي دليل على هذه الدعاوى سوى الاشتراك اللفظي، وهو محجوج بما قاله، فلم لا تكون الحبشية قد أخذت هذه من العربية؟

إن سبب مزاعمه هذه هي محاولة خفية للإشارة إلى أن القرآن الكريم قد تأثر بالنصرانية، لذلك قال: " تشهد بالمناسبات الصحيحة بين المسلمين وبلاد الحبشة قبل الهجرة"، أي أن المسلمين قبل الهجرة تأثروا بالحبشية النصرانية، ويفند مزاعمه هذه أن العلاقة بين الحبشة وبين العرب كانت أشد قبل الإسلام، فلم لم يتأثر بها العرب قبل الإسلام؟ ولم جاءت في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف ولم ترد في شعر العرب؟

ثم أين استخدمت هذه المفردات في النصرانية؟ إن تدقيق الكتاب المقدس بقسميه: التوراة (العهد القديم)، والإنجيل (العهد الجديد) وقواميس الكتاب المقدس لا تظهر استخدام هذه المفردات استخداماً دينياً، مما ينقض مزاعمه.

ثم ناقض نفسه مرة أخرى عندما قال: إن بعض الكلمات قد تكون يمانية، وهذا زعم آخر لا دليل عليه، مما يؤكد أنه يعتمد الظن.

اولًا: كلمة نافق:

قال برجشتراسر: " ونافق مأخوذة من nafaka، أي: شكّ وداهن، ومنها تشتق manafek، أي: تابع لطائفة مخالفة للعامة"(٢).

(١) التطور النحوي: ٢١٧ الهامش.

(٢) التطور النحوي : ٢١٧.

ثم قال: " ولا علاقة في العربية بين النفاق، وبين سائر معاني مادة (نفق)، وهي في الحبشية تدل على التقسيم والتصنيف، فالمنافق هو المقسّم القلب قِبَل الإيمان، فظاهره يخالف باطنه"(١).

ويرد زعمه هذا قول ابن فارس:" النون والفاء والقاف أصلان صحيحان، يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه... والأصل الآخر النفق: سرب في الأرض له مخلص إلى مكان. والنافقاء: موضع يرققه اليربوع من جحره فإذا أتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق، أي خرج. ومنه اشتقاق النفاق، لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر، فكأن الإيمان يخرج منه، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء"(٢).

وقال الراغب: " ومنه:" نافقاء اليربوع، وقد نافق اليربوع، ونفق، ومنه: النفاق، وهو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب"(٣).

فالكلمة لها أصل عربي، إلا أن الاستعمال القرآني أبرز مضمون هذه الكلمة ومنحها بعداً جديداً مثل كثير من الكلمات التي كانت العرب تستعملها في سياق ومضمون معينين، فجاء الاستعمال القرآني ليمنحها دلالتين جديدتين، مثل كلمات: الصلاة والصوم والدعاء وغيرها.

---

(١) المصدر نفسه : ٢١٩.

(٢) مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م: مادة (نفق) ٥/٤٥٤-٤٥٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م: ٨١٩.

ويلحـظ أنــه زعـم فــي قولــه الأول أن نــافق فــي الحبشــية تعنــي شــك وداهـن، فـي حـين زعـم فـي قولـه الثـاني أنهـا بمعنـى الانقسـام، والتـرجيح بـين الاشـتقاقين العربـي والحبشـي يظهـر أصـالة الاشـتقاق العربـي وموافقتـه للمعنـى الحقيقـي للنفـاق بخـلاف الانقسـام، فالمنـافق لـيس مـن انقسـم قلبـه بـين أمـرين، بل من أظهر خلاف ما أبطن.

ثانيًا: كلمة فطر:

قال برجشتراسر: " وفطر: كذلك في الحبشية لفظاً ومعنى"(١).

ثـم قـال: " وفطـر لـم تـؤد معنـى الخلـق فـي العربيـة، قبـل مجيئهـا فـي القـرآن الكـريم، وأصـل معناهـا فـي العربيـة هـو: شَـقَّ، وهـي فـي الحبشـة مألوفـة في معنى: الخلْق"(٢).

وهـذا زعـم عـار عـن الصـحة، فلـم لا تكـون الحبشـية قـد أخـذت هـذا عـن العربيـة؟ ولاسـيما أن برجشتراسـر لـم يبـين المفـردات التـي ذكرهـا جميهـا أيـن ومتـى وردت هـذه اللفظـة عنـد الحبشـية، لكـي نحكـم بالسـبق الزمنـي لهـذه اللغـة أو تلك.

ويُفنّـد مزاعمـه، مـا روي عـن ابـن عبـاس (رضـي الله عنهمـا) قـال: "مـا كنـت أدرى مـا فـاطر السـموات حتـى أتـانى أعرابيـان يختصـمان فـي بئـر، فقـال أحدهما: أنا فطرتها: يعنى أنا ابتدأتها"(٣).

---

(١) التطور النحوي: ٢١٧.

(٢) المصدر نفسه : ٢١٩.

(٣) مسند الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م: ٧٤/١؛ غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ)، تحقيق الدكتور حسين محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م: ٣٧٣/٤.

وقـال تعـالى: ﴿وَجَّهْـتُ وَجْهِـيَ لِلَّـذِي فَطَـرَ السَّـمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾(١)، "أي: أقبلـت بـوجهي إلـى الله الـذي فطـر السـموات والأرض أي ابتـداء خلقهمـا علـى غير مثال تقدمهما"(٢).

والفطـرُ: الشـق عـن الشـيء بإظهـار للحـسَّ، وفطـر السـموات والأرض: خلقهما بإظهارهما للعيان(٣).

والفطـر بمعنـى الشـق يتوافـق تمامـاً مـع خلـق السـموات والأرض، كمـا فـي قولـه تعـالى: ﴿**أَوَلَـم يَـرَ الَّـذِينَ كَفَـرُوا أَنَّ السَّـماواتِ والأرضَ كانَتـا رَتْقًـا فَفَتَقْناهما**﴾(٤).

فـالفتق هـو الشـق، أو الفطـر، بمعنـى أنهمـا كانتـا ملتصـقتين فشـقهما وباعد بينهما(٥).

وقـد اسـتعمل الفطـر بمعنـى الشـق فـي آيـات أخـرى منهـا قولـه تعـالى: ﴿**السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِه**﴾(١).

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٧٩.

(٢) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور المتوفى (٣٧٠هـ) ، تحقيق مسعد عبد الحميد السعدني ، دار الطلائع: ٦١.

(٣) ينظر: تفسير ابن فورك، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني (ت٤٠٦هـ)، مجموعـة محققـين، جامعـة أم القـرى، السـعودية، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م: ١٦٠/٢.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

(٥) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرماني المعروف بتاج القراء (ت٥٠٥هـ)، تحقيق شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة، جدة، ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م: ٩٤٣/٢؛ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م: ٢٤٠/٣.

وقوله تعالى: ﴿**إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ**﴾[٢]، أي: انشقت[٣].

وهذا يبين أن العرب كانت تعرف هذه الكلمة بالمعنى القرآني نفسه، وهو ابتداء الشيء، والخلق هو ابتداء الشيء، وأن الفطر سواء أكان شقاً أم ابتداءً فهو قد ورد في القرآن الكريم، في حين لم يرد الفطر بمعنى الشق في الحبشية، مما يؤكد أن الاستعمال القرآني لم يكن مقتبساً من الحبشية.

ثالثًا: كلمة المنبر:

قال برجشتراسر: " ومنبر: أصلها: manbar، أي: المقعد "[٤].

ثم قال: " وnabara في الحبشية هي الكملة المعتادة للتعبير عن القعود، ولا اشتقاق للمنبر في العربية"[٥].

ويلحظ هنا أنه في مقولته الثانية جعل أصل الكلمة (nabra) في حين جعل أصلها في الأول (manbar).

قد يبدو لأول وهلة أن الكلمة غير عربية، على أساس أن المنبر صنع لرسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) وهو في المدنية، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه: أين وردت هذه الكلمة في الحبشية، وما هو النص الديني الذي وردت فيه؟

---

(١) سورة المزمل: الآية ١٨.

(٢) سورة الانفطار: الآية ١.

(٣) معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت٢٠٧هـ)، تحقيق أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، بلا تاريخ: ٢٤٣/٣.

(٤) التطور النحوي: ٢١٧.

(٥) التطور النحوي : ٢١٩.

لا يقـدم برجشتراسـر أي دليـل علـى دعـواه، سـوى الاسـتعمال المشـترك للكلمتـين، وهنـا سـؤال آخـر يفـرض نفسـه: أيـن هـو التـراث الأدبـي الحبشـي، وهل لهذا التراث ما للتراث العربي من أثر وعراقة؟

لا أسـتطيع أن أجـزم بهـذا الأمـر لعـدم اطلاعـي علـى التـراث الحبشـي، ولكـن مـا أسـتطيع الجـزم بـه أن هـذا التـراث لـم يبلـغ شـأن التـراث العربـي ولا منزلته.

فضـلاً عـن هـذا فـإن علمـاء اللغـة بيّنـوا الأصـل العربـي لهـذه الكلمـة، قـال أبـو بكـر الأنبـاري: " إنمـا سـمي المنبـر منبـراً لارتفاعـه وعلـوه. أخـذ مـن النبـر، والنبـر عنـدهم: ارتفـاع الصـوت. يقـال: نَبَـرَ الرجـل نَبْـرَةً: إذا تكلـم كلمـة فيها عُلُوّ"(١).

وقـال ابـن فـارس: " نبـر: النـون والبـاء والـراء أصـل صـحيح يـدل علـى رفـع وعلـو. ونبـر الغـلام: صـاح أول مـا يترعـرع. ورجـل نبـار: فصـيح جهيـر. وسـمي المنبـر لأنـه مرتفـع ويرفـع الصـوت عليـه. والنبـر فـي الكـلام: الهمـز أو قريب منه. وكل من رفع شيئا فقد نبره"(٢).

فالكملـة فـي الحبشـية علـى قولـه الثـاني أيضًـا مشـتقة مـن النبـر، كمـا هـو الحال في العربية.

فالكملـة عربيـة الأصـل والجـذر، فـلا وجـه لنسـبتها إلـى الحبشـية لا مـن قريب ولا من بعيد.

رابعًا: كلمة المحراب:

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ)، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م :١/ ٤٢٠.

(٢) مقاييس اللغة: مادة (نبر) ٥/ ٣٨٠.

قـال برجشتراسـر: " ومحـراب: ربمـا كـان أصـلها: mehram، أي: المعبد، فأبدلت الميم الثانية باء للتخالف بينهما"(١).

ثم قال: " ولا اشتقاق للمنبر في العربية، ولا للمحراب"(٢).

وهنـا تعسـف آخـر، فـالمحراب فـي العربيـة لا يعنـي المعبـد، وإلا لسـمي المسـجد بـه لا موضـع وقـوف الإمـام، والتعسـف أيضًـا فـي دعـوى الإبـدال، فلـم لا تكـون الحبشـية أخذتـه عـن العربيـة، وأن الكلمـة هـي المحـرم، أي أن هـذا الموضـع ذو حرمـة، أو مـن التحـريم، كمـا يقـال البيـت المحـرم، فـلا موجـب للزعم بوقوع الإبدال.

فضـلاً عـن هـذا فالكملـة عربيـة الأصـل، واصـلها بيـت الأسـد، كمـا قـال الشاعر الجاهلي أبو زبيد الطائي(٣):

وَمَا مُغِبٌّ بِثِنْيِ الْحِنْوِ مُجَتَعِلٌ... فِي الْغِيلِ في نَاعِمِ الْبَرْدِيِّ مِحْرَابَا

وتعني أيضًا عند العرب القصر، قال أمرؤ القيس(٤):

وماذا عليه أنْ يروضَ نجائِباً... كغِزلانِ وَحْشٍ في محاريبِ أقيالِ

وبهذا المعنى قال الأعشى(٥):

---

(١) التطور النحوي: ٢١٧.

(٢) المصدر نفسه : ٢١٩.

(٣) الدلائل في غريب الحديث، أبو محمد قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي (ت٣٠٢هـ)، تحقيق الدكتور محمد بن عبد الله القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م: ١٠١٤/٣.

(٤) ديوان امرئ القيس، أمْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (ت٥٤٥م)، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م: ٣٤.

(٥) ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس (ت٧هـ)، شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٥١م: ١٠٤.

كدُميةٍ صُوِّرَ محرابُها... بمُذْهَبٍ في مرمرٍ مائر

قـال الأزهـري:" المحـراب: القبلـة. والمحـراب الغرفـة. والمحـراب: صـدر المجلـس والمحـراب مـأوى الأسـد، يقـال: دخـل فـلان علـى الأسـد فـي محرابـه وغيلـه وعرينـه ورجـل محـرب أي محـارب لعـدوه. وقيـل سـمي محـراب الإمـام محرابـا لأن الإمـام إذا قـام فيـه لـم يـأمن أن يلحـن أو يخطـئ فهـو خـائف مكانـا كأنه مأوى الأسد"(١).

مـن هـذا يتبـين أن الـزعم بحبشـية هـذه الكلمـة عـارٍ عـن الصـحة، بـل الـدلائل تشـير الـى أن الأحبـاش هـم مـن أخـذوها عـن العـرب وسـمّوا معابـدهم محرماً من الحرمة.

خامسًا: كلمة مصحف:

قـال برجشتراسـر: " ومُصْـحَف: وتـروى المـيم بالحركـات الـثلاث، أصلها: mashaf، أي: الكتاب، مشتقاً من sahfa، أي: كتب"(٢).

إن هـذه الكلمـة تظهـر تعسـف برجشتراسـر؛ فـإن كانـت هـذه الكلمـة ذات استعمال ديني عند الحبشة، فما هو؟ أكانوا يدعون كتابهم المقدس مصحفاً؟

الجـواب قطعـاً لا، فلـم يـرد فـي الكتـب النصـرانية أو فـي غيرهـا هـذه التسـمية، ناهيـك عـن أن الكلمـة ذات أصـل عربـي عريـق، قـال ابـن فـارس: " صـحف: الصـاد والحـاء والفـاء أصـل صـحيح يـدل علـى انبسـاط فـي شـيء وسـعة. يقـال: إن الصـحيف: وجـه الأرض. والصـحيفة: بشـرة وجـه الرجـل...

(١) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م: مادة (حرب) ١٨/٥.

(٢) التطور النحوي: ٢١٧-٢١٨.

ومـن البـاب: الصـحيفة، وهـي التـي يكتـب فيهـا، والجمـع: صـحائف، والصـحف أيضا"[١].

وقـال الراغـب: "والمصـحف: مـا جعـل جامعـا للصـحف المكتوبـة، وجمعـه: مصـاحف، والتصـحيف: قـراءة المصـحف وروايتـه علـى غيـر مـا هـو لاشتباه حروفه، والصحفة مثل قصعة عريضة"[٢].

ثـم قـال برجشتراسـر: " وأمـا مصـحف وصـحيفة، وغيـر ذلـك ممـا اشـتق مـن مـادة (صـحف)، فيـدل معنـاه علـى كونـه دخـيلاً؛ فـإن العـرب لمـا أخـذوا الكتابـة مـن جيـرانهم الـذين سـبقوهم إلـى التمـدن، يحتمـل أن يكونـوا قـد أخـذوا مـنهم الأسـماء الدالـة علـى التمـدن، فكـان ينتظـر إذن أن تكـون المصـحف آراميـة، كمـا أن الخـط العربـي آرامـي الأصـل، غيـر أنـا نجـد[٣] فـي الآراميـة كلمـة تقابـل مصـحف، فنُظِـرَ إلـى الـيمن وبـلاد الحبشـة؛ لأن الكتابـة كانـت معروفـة مسـتعملة هنـاك أيضًـا، وكـان بعـض العـرب يكتـب بـالحروف اليمانيـة، قبل أن يألفوا الحروف الآرامية"[٤].

وهنـا جملـة مغالطـات تبـين إصـرار برجشتراسـر علـى نـزع صـفة التمـدن أو أي معلـم مـن معـالم الحضـارة عـن العـرب، فـإن كانـت الأميـة فاشـية بـين عـرب الجزيـرة فـلا يعنـي هـذا انعـدام الكتابـة عنـدهم، وقـد عـرف أنهـم كـانوا يعلقون القصائد على جدار الكعبة.

ثـم لـم الإصـرار علـى أن العـرب أخـذوا الكتابـة مـن الـيمن والحبشـة، ولـم لا يكونـون قـد أخـذوها مـن العـراق، وهـو مهـد الكتابـة الأول فـي العلـم؟ وأن

(١) مقاييس اللغة: مادة (صحف) ٣٣٤/٣.
(٢) المفردات: ٤٧٦.
(٣) هكذا ورد النص، ولعل الصواب: لا نجد، كما ينبئ عن ذلك سياق الكلام.
(٤) التطور النحوي: ٢١٩.

العـراقيين الـذين اكتشـفوا الكتابـة هـم مـن العـرب الـذين نزحـوا مـن الـيمن وجزيـرة العـرب إلــى العـراق، وأن اللغـات البابليـة – الآشـورية، أو الأكاديـة، قـد تـدفقت إلـى القسـم الجنـوبي مـن العـراق، وهـم مـن القبائـل العربيـة التـي توالـت هجراتهـا منذ الألف الثالث قبل الميلاد على وجه التقريب "٣٠٠٠ سنة ق. م[١].

وأن أهـل الـيمن هـم مـن العـرب، وأنــه لـيس جميـع أهـل الـيمن كـانوا يكتبـون بلغـة مغـايرة، بـل كـان هـذا حصـراً بجنـوب الـيمن، ومـع ذلـك فالآراميـة والعربية هما من عائلة لغوية واحدة، أطلق عليها السامية.

وعلــى افتـراض أن العـرب أخـذوا المصـحف مـن الآراميـة أو مـن غيرهـا مـع أخـذهم الكتابـة، فمـن أيـن أخـذوا كلمـة القلـم؟ ولـو وردت فـي لغـة مـا لـذكرها برجشتراسر.

أمــا ادّعــاؤه أن أصــل العربيــة هــو الحــروف الآراميــة، فهــذه دعــوى لا دليل عليها، بل كل الكتابات اشتقت من المسمارية.

أمـا الحبشـية السـامية التـي تتشـابه مـع لغـة العـرب، فيرجـع تـاريخ آثارهـا إلى سنة ٣٥٠م[٢]، فهي ليست أقدم من العربية إطلاقاً.

فضــلاً عــن أنــه كانــت هنــاك لهجــات عربيــة بائــدة هــي: الثموديــة، والصفودية، واللحيانية[٣]، فلم لا يكون الأخذ عن هذه اللغات؟

سادسًا: كلمة الحواري:

(١) ينظر: تـاريخ اللغـات السـامية، إسـرائيل ولفنسـون، مطبعـة الاعتمـاد، القـاهرة، ١٩٢٦م: ٢٥/٢٢.

(٢) ينظر: دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصـالح، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط٧، ١٩٧٨م: ٥٢-٥٤.

(٣) ينظر: تاريخ اللغات السامية: ١٨٩.

قـال برجشتراسـر: " حواريـون مـع كـون بنائهـا غيـر مـألوف فـي العربيـة، فـلا يمكـن اشـتقاقها مـن (حـار)؛ لأن مـا هـو أقـرب إلـى معنـى (الحـواريين) مـن معـاني هـذه المـادة هـو الرجـوع، أبعـد عنـه بكثيـر مـن معناهـا فـي الحبشـية وهـو السير والمشي"(١).

إن ادعـاء برجشتراسـر أن الكلمـة مـن الفعـل (حـار) غيـر صـحيح، لمـا يأتي من الأسباب:

الأول: ذكـر علمـاء اللغـة أن أصـل الحـواري: "الرُّجُـوعُ عَـنِ الشَّـيْءِ وإِلـى الشَّـيْ"[٢] مـن حـورت الشـيء، أي: بيضـته ودورتـه، ومنـه الخبـز الحـواري أي الأبـيض، وأن الحـواريين سـمّوا بـذلك إمـا لمـزاولتهم مهنـة القصـارة، أو لارتـدائهم الثياب البيض(٣).

وأن الحواري يطلق على الصفوة من الناس(٤).

الثـاني: ادعـاؤه أن وزن هـذه الكلمـة لـم يـرد فـي العربيـة منقـوض لأن هـذا الـوزن لـم يـرد فـي الحبشـية، فهـو مـن الأوزان العربيـة، وينقضـه أيضًـا شـواهد كثيـرة مثـل هـذا الـوزن، مثـل البصـري، فوزنهـا البصـريون، والسـعدي،

(١) التطور النحوي: ٢١٩.

(٢) لسان العرب : لابن منظور: ٢١٧/٤

(٣) ينظر: غريب الحديث لأبـي عبيد: ١٥/٢؛ جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري بن دريد (ت٣٢١هـ)، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م: مادة (حور) ٥٢٥/١.

(٤) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت٢١٠هـ)، عارضه بأصوله وعلق عليه الدكتور محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٨١هـ -١٩٦٢م: ٩٥/١.

وزنهـا السـعديون، والأشـعري وزنهـا الأشـعريون وغيرهـا، وإنمـا عـدل عـن جمـع التكسير إلى جمع المذكر السالم لاختصاصها بالعقلاء.

الثالـث: إن كانـت الكلمـة قـد وردت فـي الإنجيـل، فلـم لـم تسـتعمل كلمـة رسـل كمـا جـاء فـي الإنجيـل، ناهيـك عـن أن الكلمـة لـم تسـتعمل فـي القـرآن بمعنى الرسل، بل بمعنى التابع.

وفـــي الختـــام لا يســـعنا أن نتغافـــل عـــن أواصـــر القربـــى بـــين اللغـــات السامية، ولكن أن نقصر هذا التبادل على العربية، فهو تعسف.

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث ألخص أهم ما جاء فيه بأن برجشتراسر أسوة بغيره من المستشرقين يحاولون نزع كل فضيلة عن العرب، وأنهم أسرفوا في ردّ كل كلمة مشتركة بين العربية وبين غيرها من اللغات إلى غير العربية، وكأن اللغة العربية قد حدثت بعد نزول القرآن الكريم.

إن برجشتراسر كان يحاول التلميح إلى أن القرآن الكريم قد تأثر بالتيارات المسيحية الحبشية، لتأكيد مزاعمهم أن القرآن الكريم قد كتب بتأثير الديانات السائدة آنذاك والقريبة من جزيرة العرب.

لم تثبت صحة مزاعم برجشتراسر وهي في أحسن الأحوال تشير إلى أصل لغوي مشترك بين العربية والحبشية، إن لم تكن الحبشية قد تأثرت بالعربية.

المصادر والمراجع

١. تـــاريخ اللغـــات الســـامية، إســـرائيل ولفنســـون، مطبعـــة الاعتمـــاد، القـــاهرة، ١٩٢٦م.
٢. التطـور النحـوي، براجشتراسـر، أخرجـه: الـدكتور رمضـان عبـد التـواب، مكتبـة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٣. تفسير ابـن فـورك، أبـو بكـر محمـد بـن الحسـن بـن فـورك الأنصـاري الأصـبهاني (ت٤٠٦هـ)، مجموعـــة محققـــين، جامعـــة أم القـــرى، الســـعودية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٤. تهـذيب اللغـة، أبـو منصـور محمـد بـن أحمـد الأزهـري (ت٣٧٠هـ)، تحقيـق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
٥. جمهـرة اللغـة، أبـو بكـر محمـد بـن الحسـن الأزدي البصـري بـن دريـد (ت٣٢١هـ)، تحقيـق رمـزي منيـر بعلبكـي، دار العلـم للملايـين، بيـروت، ١٩٨٧م.
٦. دراسـات فـي فقـه اللغـة، د. صـبحي الصـالح، دار العلـم للملايـين، بيـروت - لبنان، ط٧، ١٩٧٨م.
٧. الـدلائل فـي غريـب الحـديث، أبـو محمـد قاسـم بـن ثابـت بـن حـزم العـوفي السرقسـطي (ت٣٠٢هـ)، تحقيـق الـدكتور محمـد بـن عبـد الله القنـاص، مكتبـة العبيكان، الرياض، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.
٨. ديـوان الأعشـى الكبيـر، ميمـون بـن قـيس (ت٧هـ)، شـرح وتعليـق الـدكتور محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٥١م.
٩. ديـوان امـرِئ القـيس، أمْـرُؤُ القَـيْس بـن حجـر بـن الحـارث الكنـدي، مـن بنـي آكـل المـرار (ت٥٤٥م)، اعتنـى بـه عبـد الـرحمن المصـطاوي، دار المعرفـة، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.

١٠. الزاهـر فـي معـاني كلمـات النـاس، أبـو بكـر محمـد بـن القاسـم الأنبـاري (ت٣٢٨هـ)، تحقيـق الـدكتور حـاتم صـالح الضـامن، مؤسسـة الرسـالة، بيـروت، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.
١١. الزاهـر فـي غريـب ألفـاظ الشـافعي، محمـد بـن أحمـد بـن الأزهـري الهـروي أبـو منصـور المتـوفى (٣٧٠هـ) ، تحقيـق مسـعد عبـد الحميـد السـعدني ، دار الطلائع:.
١٢. عمـدة الحفـاظ فـي تفسـير أشـرف الألفـاظ، أحمـد بـن يوسـف المعـروف بالسـمين الحلبـي (ت٧٥٦هـ)، تحقيـق محمـد باسـل عيـون السـود، دار الكتـب العلميـة، بيروت، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م.
١٣. غرائـب التفسـير وعجائـب التأويـل، محمـود بـن حمـزة الكرمـاني المعـروف بتـاج القـراء (ت٥٠٥هـ)، تحقيـق شـمران سـركال يـونس العجلـي، دار القبلـة، جـدة، ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م.
١٤. غريـب الحـديث، أبـو عبيـد القاسـم بـن سـلام الهـروي (ت٢٢٤هـ)، تحقيـق الـدكتور حسـين محمـد محمـد شـرف، الهيئـة العامـة لشـئون المطـابع الأميريـة، القاهرة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
١٥. فقه اللغة : د. علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة – مصر، ط٢٠٠٨،٦م.
١٦. القـرآن فـي مواجهـة الـتهم والشـبهات يعلـو ولا يُعلـى عليـه، محمـد أحمـد صـبرة، بلا دار، بلا مكان، ٢٠١٧م.
١٧. الكليـات : أبـو البقـاء أيـوب بـن موسـى الحسـيني الكفـوي، مؤسسـة الرسـالة – بيـروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م. ، تحقيـق : عـدنان درويـش – محمـد المصري

١٨. لسـان العـرب: محمـد بـن مكـرم بـن علـى، أبـو الفضـل، جمـال الـدين ابـن منظـور الأنصـاري الرويفعـى الإفريقـى (المتـوفى: ٧١١هـ) ،دار صـادر – بيروت ،١٤١٤ هـ.
١٩. مجـاز القـرآن، أبـو عبيـدة معمـر بـن المثنـى التميمـي (ت٢١٠هـ)، عارضـه بأصـوله وعلـق عليـه الـدكتور محمـد فـؤاد سـزكين، مكتبـة الخـانجي، مصـر، ١٣٨١هـ -١٩٦٢م.
٢٠. مسـند الشـافعي، أبـو عبـد الله محمـد بـن إدريـس الشـافعي (ت٢٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.
٢١. معـاني القـرآن، أبـو زكريـا يحيـى بـن زيـاد بـن عبـد الله بـن منظـور الـديلمي الفـراء (ت٢٠٧هـ)، تحقيـق أحمـد يوسـف النجـاتي، ومحمـد علـي النجـار، وعبـد الفتـاح إسـماعيل الشـلبي، الـدار المصـرية للتـأليف والترجمـة، مصـر، بـلا تاريخ.
٢٢. المعـرب مـن الكـلام الاعجمـي علـى حـروف المعجـم، ابـو منصـور الجـواليقي ، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م..
٢٣. المفـردات فـي غريـب القـرآن، أبـو القاسـم الحسـين بـن محمـد المعـروف بالراغـب الأصـفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيـق صـفوان عـدنان الـداودي، دار القلـم بدمشـق، والدار الشامية ببيروت، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.
٢٤. مقـاييس اللغـة، أبـو الحسـن أحمـد بـن فـارس بـن زكريـا (ت٣٩٥هـ)، تحقيـق عبـد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.